الأحد: 2024/11/03
الفوج 1 التوقيت: 16:30 – 18:00
الفوج 2 التوقيت: 14:50 – 16:20
الفوج 6 التوقيت: 13:10 – 14:40
الاثنين: 2024/11/04
الفوج 3 التوقيت: 13:10 – 14:40
الفوج 4 التوقيت: 14:50 – 16:20

الدرس رقم06:

الاستشراق واللغة العربية

أقبل الاستشراق على دراسة لغة المسلمين وأعلن المستشرقون هجومهم على اللغة العربية بتلفيق الشبهات حول أصالتها فى التاريخ القديم والعصور العربية الأخرى، كما اتهموها فى العصر الحديث أنها لغة عاجزة عن الوفاء بمتطلبات العصر الحديث وغير قادرة على مواكبة التقدم العلمى والتكنولوجي، ووصل بعضهم الأمر إلى اعتبار اللغة العربية لغة ميتتة، مثلها مثل اللغة اللاتينية بالنسبة للغة الأوروبية الحديثة، وبأنها لغة دينية بمعنى أنها تستخدم في المجال الدينى وفيما يتعلق بالعبادة ولكنها لا تصلح كلغة للحديث والكتابة تشبيها لها ببعض اللغات الدينية القديمة والتي انحصر مجال استخدامها في المجال الديني ولم يعد لها استخدام فى الحياة اليومية مثل السريانية، وهو ما أقر به المستشرق "برينو" لطلابه في درس اللغة العربية.

ووصف المستشرقون اللغة العربية بالجمود وبأنها لغة بدوية لا تصلح للتعبير عن المصطلح العلمى الحديث وأنها السبب فى التخلف الحضارى لأنها غير قادرة على استيعاب الحضارة الحديثة، ويقابل هذا الذم في اللغة العربية الفصحى الثناء على اللغة العامية وعلى اللهجات العربية المختلفة ووصفها جميعا بالمرونة والسهولة والقدرة على التعبير عن المطالب الحديثة، ومدحوها كوسيلة تثقيف للجماهير العربية وللتخلص من الأمية المنتشرة بسبب صعوبة اللغة العربية الفصحى.

ومن أجل هذا قام الاستشراق بإدخال تدريس لهجات العرب المختلفة في مدارسهم وجامعاتهم ومعاهدهم، وفي سنة 1880م ظهر كتاب قواعد العربية العامية في مصر لـ ولهام سبيتا الذى كان أول كتاب في العامية المصرية من الأجانب.

وظهر كتاب "المقتضب فى عربية مصر" لـ فيوت وباول اللذان اتجها فيه وجهة علمية لتسهيل دراسة العامية المصرية، تلك التى ضاعت كرامتها على حد قولهما لتركها تنساب مفككة بدون ضوابط حتى أصبحت لاوجود لها كلغة مكتوبة ولم يفتهما أيضا أن يرددا الشكوى من صعوبة اللغة العربية الفصحى.

وهناك من دعا إلى استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، أمثال المستشرق "فنسك" قصد التيسير والتسهيل وهذا لجهلهم بأن الإملاء بالعربية أيسر، وأكثر انضباطا من الإملاء والكتابة في اللغتين الفرنسية والانجليزية اللتين تكثر فيهما الحروف التي تكتب ولا تنطق.

ومما حاول المستشرقون ضرب اللغة العربية به هو التشكيك فى أصالة النحو العربي، فرد بعض المستشرقين النحو العربي إلى أصول يونانية أو سريانية أو هندية أو لاتينية، فقد قال بالتأثير اليونانى على النحو العربى كل من المستشرق الفرنسى أرنيست رينان والمستشرق الألمانى هوفمان وأميركس والمستشرق الهولندى فيرستيج، ومن هؤلاء من قال بتأثير يوناني مباشر، ومنهم من قال بتأثير يوناني عن طريق السريانية، وقد ادعى بريتريوس وجود تأثير يوناني لاتيني مشترك على النحو العربي.

وقد اعتمد هذا الفريق المنادى بالتأثير الأجنبي على النحو العربي على فرضيات لا أساس لها من الصحة، منها محاولة خلق علاقات تاريخية بين النحاة العرب والنحاة السريان، مثل علاقة مفترضة لأبى الأسود الدؤلي ويعقوب الرّهاوي، وافتراض علاقة بين حنين بن إسحاق والخليل بن أحمد الفراهيدى، كما افترض دورا للفرس في نقل المعرفة اليونانية إلى العرب، مثل معرفة عبدالله بن المقفع باليونانية وتأثيره في الخليل بن أحمد، ومن هذه الفرضيات أيضا القول بأن مصطلحات الإعراب والصرف والقياس والحركة مصطلحات يونانية، وإن تقسيم الكلام عند سيبويه تقسيم يوناني.

وفى كل هذا يتجاهل المستشرقون ارتباط ظهور النحو بالقرآن كأحد العلوم التي نشأت من القرآن الكريم لضرورة إسلامية خالصة، ولأسباب وظروف داخلية، كما يتجاهل المستشرقون الآراء الواردة في المصادر العربية في تاريخ النحو والتي تقر بنشأته الداخلية، كما سعى المستشرقون إلى إفساد اللغة العربية وذلك بإدخال مصطلحات غير عربية إلى صميم النص العربي، وما نجد من أخطاء في تفسير بعض المصطلحات العربية: مثل محاولة تفسير كلمة (الطلقاء) بقولهم أنهم الذين أدخلوا في الاسلام كرها، وتفسير كلمة (عمد) بأنه غسيل الولد بماء العمودية في حين أن كلمة العمودية ليست عربية وإنما هي كلمة قبطية تنطق "معمو ذيت" بالذال المعجمية.

أما تُروبو – المستشرق الهولندي– فهو الذي استند على أدلة تاريخية؛ منها: إن حركة الترجمة بدأت في العصر العباسي الثاني، وعلم النحو كان قد بدأ قبل سنين؛ وعلماء علم النحو كانوا على صلة دائمة مع الفقهاء، ولهذا نجد أكثر المصطلحات الفقهية موجودة في النحو؛ مثل: بدل، عرض، نية، حجّة، حسَن، قبيح و غيرها. ونيكلسون الذي يعدّ من كبار المستشرقين اعترف بأن علم النحو وضعت بداياته في عصر الإسلامي بفكرة الإمام علي رضي الله عنه وعلى يد أبي الأسود الدوئلي.

وعليه يمكننا القول: حقيقة كان أغلب المستشرقين لا يتحرون العدل ولا المصداقية في أبحاثهم ولكن ثمت قليل منهم أنصفوا أنفسهم بحكمهم على العربية بما تستحقه من ثناء وتبجيل. وأهم الجوانب التي أثنوا بها على اللغة العربية ما يأتي:

الأول: بقاؤها واستمرارها: وهذا الأمر قد اعترف به المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس حيث يقول :" إنّ في الإسلام سنداً هامّاً للغة العربية أبقى على روعتها وخلودها فلم تنل منها الأجيال المتعاقبة على نقيض ما حدث للغات القديمة المماثلة، كاللاتينية حيث انزوت تماماً بين جدران المعابد".

وما أبقى على اللغة العربية أيضا هو مرونتها التي لا تُبارى ، فالأجنبي المعاصر مثلاً لا يستطيع أن يفهم كلمةً واحدةً من اللهجة التي كان يتحدث بها أجداده منذ ألف سنة، بينما العرب المحدثون يستطيعون فهم آداب لغتهم التي كتبت في الجاهلية قبل الإسلام. وذهب المستشرق الألماني يوهان فك والمستشرق الألماني نولدكه إلى نفس ما قاله المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس بأن اللغة العربية هي لغة المدنية الإسلامية ولغة العلماء.

الثاني: اصطفاؤها من الله تعالى لتكون لغة القرآن الخالدة: قال جوستاف جرونيباوم: ما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها، فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية، وليست منزلتها الروحية هي وحدها التي تسمو بها على ما أودع الله في سائر اللغات من قوة وبيان، أما السعة فالأمر فيها واضح، ومن يتّبع جميع اللغات لا يجد فيها على ما سمعته لغة تضاهي اللغة العربية.

وقال المستشرق الألماني كارل بروكلمان: "بلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع مدىً لا تكاد تعرفه أيُّ لغةٍ أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأن العربية وحدها اللسانُ الذي أُحِلّ لهم أن يستعملوه في صلاتهم.

الثالث: جمال اللغة العربية وإيجازها: يقول عنها جوستاف جرونيباوم "ويُضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات، وإن ما بها من كنايات ومجازات واستعارات يرفعها كثيراً فوق كل لغة بشرية أخرى، وللغة العربية خصائص جمّة في الأسلوب والنحو ليس من المستطاع أن يكتشف له نظائر في أي لغة أخرى، وهي مع هذه السعة والكثرة أقصر اللغات في إيصال المعاني، وفي النقل إليها".

وقالت المستشرقة الألمانية زيفر هونكة :" كيف يستطيع الإنسان أن يُقاوم جمالَ هذه اللغة ومنطقَها السليم وسحرَها الفريد ؟ ، فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة، فلقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتكلمون اللغة العربية بشغفٍ، حتى إن اللغة القبطية

مثلاً ماتت تماماً، بل إن اللغة الآرامية لغة المسيح قد تخلّت إلى الأبد عن مركزها لتحتلّ مكانها لغة محمد، وهذا الإعجاب جعل ببعض رواد الأدب العالمي إلى تعلم اللغة العربية أمثال بوشكين وتولستوي وغيرهما.

الرابع: العرب ووفرة المعاجم: قال المستشرق الألماني أوجست فيشر: "وإذا استثنينا الصين فلا يوجدُ شعبٌ آخرُ يحقّ له الفَخارُ بوفرةِ كتبِ علومِ لغتِه، وبشعورِه المبكرِ بحاجته إلى تنسيقِ مفرداتها، بحَسْبِ أصولٍ وقواعدَ غيرَ العرب. وقال هايوود :" إن العرب في مجال المعجم يحتلّون مكان المركز ، سواءً في الزمان أو المكان، بالنسبة للعالم القديمِ أو الحديثِ، وبالنسبة للشرقِ أو الغربِ. "

الخامس: شمول العربية واكتمالها: قال المستشرق ألفريد غيوم عن العربية: "ويسهل على المرء أن يدركَ مدى استيعابِ اللغةِ العربيةِ واتساعها للتعبير عن جميع المصطلحات العلمية للعالم القديم بكل يسرٍ وسهولة، بوجود التعدد في تغيير دلالة استعمال الفعل والاسم.

السادس: اكتمال لغة الضاد وكثرة مفرداتها: وقال المستشرق الفرنسي رينان: "تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرةِ مفرداتها ودقّةِ معانيها وحسنِ نظامِ مبانيها، ولم يُعرف لها في كلّ أطوار حياتها طفولةٌ ولا شيخوخةٌ ، ولا نكاد نعلم من شأنها إلاّ فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تُبارى، ولا نعرف شبيهاً بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملةً من غير تدرّج وبقيت حافظةً لكيانها من كلّ شائبة". وذهب إلى نفس الفكرة كل من المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون، والمستشرق الألماني فرنباغ

السابع: سهولة العربية قراءة وكتابة: يؤكّد أستاذ اللغات الشرقية بجامعة أستنبول "الكتابة الإفرنجية معقّدةٌ والكتابة العربية واضحةٌ كلّ الوضوح ، فإذا ما فتحتَ أيّ خطابٍ فلن تجدَ صعوبةً في قراءةِ أردأ خطٍّ به، وهذه هي طبيعة الكتابة العربية التي تتسم بالسهولة والوضوح.

الثامن: النحو العربي: فالعالم اللغوي أفرام نعوم تشومسكي أقرّ بالحق العربي وبمكانة العربية، ونوّه في معرض ردّه على استفسارٍ وُجّه إليه في سنة 1989م بأن تأثيراتِ النحو العربي كبيرةٌ على نظريته في دراسة اللغة، وأنه قرأ كتاب سيبويه كمرجعٍ له .

التاسع: تأثيرها في اللغات العالمية: أشاد ماريو بِلْ مؤلف كتاب قصة "اللغات" بأن العربية هي اللغة العالمية في حضارات العصور الوسطى ، وكانت رافداً عظيماً للإنكليزية في نهضتها وكثيرٍ من الأوربيّات، وقد أورد قاموس Littre قوائمَ بما اقتبسته هذه اللغات من مفرداتٍ عربيةٍ، وكانت أولها الإسبانية ثم الفرنسية والإيطالية واليونانية والمجرية وكذلك الأرمنية والروسية وغيرها، ومجموعها 27 لغة، وتقدر المفردات بالآلاف.